# علاقة الدولة العثمانية بالأمير عبد القادر الجزائري في المشرق (1853- 1883م)

الدكتورة: إسمى مهيبل
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله

بعد خمس سنوات قضاها الأمير عبد القادر أسيرا بفرنسا، يتجرع مرارة نكث الحكومة الفرنسية بوعدها له بأن تنقله -بناء على طلبه- إلى الإسكندرية أو عكا من أملاك السلطان، تمكن نابوليون الثالث في سنة 1852م من الاستحواذ على كل السلطات في فرنسا وأعلن نفسه إمبراطورا، وبإسكاته للمعارضة أصبح بإمكانه إطلاق سراح الأمير، لذلك قام في 16 أكتوبر (تشرين الأول) 1852م بزيارة للأمير في قصر أمبواز، وفي طريقه إليه كتب ورقة، كان مما جاء فيها ما يلي: "إنني قادم لأعلن لك حريتك، إنك ستحمل بمن معك إلى عاصمة سلطان تركيا، وذلك بعد الفراغ من الترتيبات المقتضية لسفرك، وستعين لك الحكومة الفرنسية مرتبا يليق بمقامك، واعلم بأن سجنك قد كدرني كدرا حقيقيا لمدة طويلة". (1)

أبلغ الإمبراطور نابوليون الثالث الأمير عبد القادر قراره بإطلاق سراحه، وبناء عليه رتب انتقال الأمير عبد القادر إلى مارسيليا، لينقل على متن باخرة هيئتها الحكومة الفرنسية خصيصا لسفره، وكان وصول الأمير إلى مارسيليا في أواخر شهر كانون الأول (ديسمبر) 1852م.(2)

## 1- الأمير في الأستانة وبروسة:

سافر الأمير ومن معه من الأهل والأتباع إلى استانبول، فدخلها يوم الجمعة 28 ربيع الأول 1269هـ/ 8 يناير (كانون الثاني) 1853م، وبمجرد وصوله زار الأمير قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ثم توجه إلى أيا صوفيا فزارها؛ وفي اليوم الثاني من وصوله إلى الأستانة زار الصدر الأعظم الشهير مصطفى رشيد باشا فرحب به، وعرض عليه أن ينزله بمعية أهله وعائلته في جولة للتعرف على الأستانة، ولكن الأمير اعتذر

له بمرض والدته، وعقب مقابلته للصدر الأعظم قام الأمير بزيارة شيخ الإسلام عارف حكمت بك، فقابله مع سائر وزراء الدولة العلية.[3]

وفي اليوم الثالث من وصوله إلى استانبول دُعي الأمير إلى المابين لمقابلة السلطان عبد المجيد خان[4]، فذهب برفقة كل من ابنه الأكبر محمد، ورفيقه في الجهاد قدور بن علال، وخادمه قرة مصطفى، وحظي بمقابلة السلطان فرحب به وسأله عن أحواله وأحوال من معه، وشكره على ما كابده في الدفاع عن دينه ووطنه، وقبل انصرافه أبلغه السلطان بأنه رأى من المناسب إقامته في بروسة، على أنه يخَيِّره في السكن في أي بلد يشاء من ممالكه العثمانية، فشكره الأمير ورد عليه بالقول: "أختار ما يختاره لنا أمير المؤمنين".[5]

والحقيقة أن الباب العالي كان قد قرر مسألة انتقال الأمير للإقامة في بروسة منذ تقرر إطلاق سراحه من الأسر في فرنسا، لينتقل إلى العيش في أملاك السلطان، فقد جاء في وثيقة عثمانية مؤرخة في 24 ديسمبر (كانون الأول) 1852م -عندما كان الأمير ما يزال في فرنسا-، أنه من المناسب إرسال الأمير إلى بروسة بعد إجراء لقاء بينه وبين السلطان.[6]

وكان الإمبراطور الفرنسي نابوليون الثالث قد طلب من السلطان العثماني عبد المجيد خان كفالة عن الأمير، وذلك قبل السماح له بمغادرة فرنسا، فقبِل السلطان كفالته، لا سيما وأن شيخ الإسلام عارف حكمت بك حثه على ذلك قائلا: "لو لم تكن لمولانا السلطان حسنة مع كثرة حسناته إلا هذه لكفى بأن يكفل هذا الرجل المجاهد وينقذه من الأسر".[7]

وقد عبر الأمير عن عظيم امتنانه لصنيعة السلطان، واعتبر أن كفالة السلطان له لدى الدولة الفرنسية أعظم عنده من الدنيا وما فيها[8]، وذلك لأن "هذه الكفالة -كما أخبر لاحقا والي بروسة عند وصوله إليها- هي السبب الأقوى في حياتنا الجديدة، ولولاها ما خرجنا من قبضة الأسر، وهذا الإنعام لا يوازيه شيء ولا يقابله شكر، فنحن عبيد إحسان الذات السلطانية خلد الله سطوتها، وأيد كلمتها".[9]

دامت إقامة الأمير في استانبول عشرة أيام، كان خلالها محل إجلال واحترام، وكان الناس يزدحمون لرؤيته حيثما حلَ، في الطرقات التي يمر بها، أو في منازل الوزراء والشخصيات المرموقة التي يقصدها[10]، ومن ثم غادر الأمير الأستانة متوجها إلى بروسة، حيث استقبله واليها خليل باشا صهر السلطان ومعه العلماء والوزراء والأعيان بكل التبجيل والاحترام[11] وكان هذا الوالي قد كُلَف من طرف حكومته بحسن استقبال الأمير في بروسة، وبتغطية قيمة إيجار البيت الذي يتم استئجاره له فيها وكذلك بتغطية نفقات تأثيثه، وهو ما تدلنا عليه إرادة صادرة بهذا الشأن محفوظة بالأرشيف العثماني[12]، وبناء عليها أعدَ والي بروسة مترلا لإقامة الأمير، ويؤكد محمد الابن الأكبر للأمير ذلك بقوله: "وكان نزولنا في الدار التي أعدَت لنا بالأمر السلطاني بالمحلة المعروفة بمحلة المحكمة".[13]

ولم تكتف الحكومة العثمانية بذلك، بل إنها أمرت واليها على بروسة بتعيين راتب شهري للأمير ليقوم بشؤونه وشؤون عائلته[14]؛ وهكذا قضى الأمير سنوات إقامته في بروسة محاطا بعناية واليها خليل باشا، في راحة ورغد عيش، حيث اشترى مزرعة في "جتلك" بالقرب من البلد، احتوت على أشجار متنوعة، كان أكثر أشجارها شجر التوت الذي يشتغل فيه دود القز، وبنى الأمير في مزرعة "جتلك" قصرا عظيما استقدم له مهندسا من الأستانة ليبنيه له على هيئة قصورها.[15]

ويبدو أن العلاقة بين الأمير ووالي بروسة خليل باشا، تحولت بمرور الوقت إلى علاقة ود ووصال أكثر من مجرد علاقة رسمية، إذ نجد الأمير في أواخر أيامه في بروسة متأثرا لفراق هذا الوالي بعد انتقاله إلى الأستانة وتنصيب وال جديد عليها، فيكتب له أشعارا تدل على شوقه وحنينه لما كان بينهما من المواصلة، يقول فيها:

ألا فاقر الخليل خليل باشا *** سلامــــا طيبا عبقا نفيسا
له قل يا شقيق الروح مني *** علام هجرت بلدتنا بروسا

إلى أن يقول:

وكنت لنا بها غيثا هتوتا *** وكهفـــا مانعا ضـــرا وبوسا
وكان لنا الزمان بكم ضحوكا *** فصار لنا بفقدكم عبوسا

بمن أعتاض عنك فدتك نفسي *** وكنت بقربكم فرحا أنيسا[16]

ومهما يكن الأمر، فقد استعاد الأمير عبد القادر الشعور بالهدوء والطمأنينة في بروسة، وذلك على الرغم من شعوره وأتباعه ببعض العزلة فيها بعيدا عن الأجواء العربية، إلا أنه وجد راحته فيها بعد سنوات المحنة التي قضاها أسيرا في فرنسا. وخلال فترة إقامته في بروسة، اختار الأمير مسجداً بجوار مسكنه لإلقاء دروسه، حيث يذكر ابنه محمد أنه كان يصلي الصلوات الخمس في الجامع القريب من الدار المعروف بجامع العرب، ويقرأ فيه الدروس، فقرأنا عليه "ألفية ابن مالك" بشرح المكودي، و"السنوسية" بشرح المصنف، و"الإيساغوجي" للفناري، ويقرأ لنا في الدار "الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ".[17]

ويعتبر كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"[18] من أهم مؤلفات الأمير عبد القادر على الإطلاق، وقد ألف الأمير هذا الكتاب سنة 1854م، أثناء إقامته في بروسة، فكان من أبرز أعماله في مجال التدوين خلال السنوات الثلاث التي قضاها في بروسة قبل أن ينتقل إلى دمشق.[19]

ويدل عنوان الكتاب على هدوء نفس الأمير أثناء إقامته في بروسة، وذلك على العكس من مشاعر الغضب التي كانت قد اجتاحت نفسه أثناء فترة اعتقاله بفرنسا، بسبب الغدر والأسر الذي تعرض له فيها، وقد انعكس ذلك على ما ألفه عندئذ، حيث اختار لكتابه الذي ألفه أثناء فترة أسره في فرنسا عنوان: "المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام بالباطل والإلحاد"، وهو عنوان ينم -بلا شك- عن حدية وسخط كبيرين.[20]

وفي أثناء إقامة الأمير في بروسة، نشبت حرب القرم (1853-1856م) بين روسيا والدولة العثمانية، فعبر الأمير عن وقوفه إلى جانب السلطان العثماني، وتأييده له ولجيشه في حربهم ضد أعداء الإسلام والمسلمين، وهو ما تدل عليه قصيدة طويلة مدح فيها السلطان عبد المجيد خان وأسلافه من آل عثمان لما أحيوه من فريضة الجهاد، وما بذلوه لمصلحة الإسلام، ودعا له ولجيشه بالنصر والتمكين، وكان مما جاء فيها:

يارب أيد بروح القدس ملجأنا *** عبد الحميد ولا تبقيه حيرانا
ابن الخلائف وابن الأكرمين ومن *** توارثوا الملك سلطانا فسلطانا
أحيا الجهاد لنا من بعدما درست *** وضاعف المال أنواعا وألوانا
فانصره نصرا عزيزا لا نظير له *** حتى يزيد العدى هما وأحزانا
واحفظ علاه وأرسل يا كريم له *** من المـــلائك حفاظا وأعوانا
وانصر به الشرع وارفع يا رؤوف به *** عن دينك الحق لا تعدمه برهانا
واجمع إلهي قلوب المسلمين على *** وداده واعله وأعظم له شـــانا
وانصر وأيد وثيت جيش نصرته *** أنصار دينك حقا آل عثمانا[21]

ومن ناحية أخرى، ظلت المراسلات بين الأمير عبد القادر والباب العالي قائمة خلال فترة إقامته في بروسة، وهو ما تدلنا عليه وثيقة محفوظة في الأرشيف العثماني باستانبول، وهي عبارة عن رسالة مكتوبة بخط يد الأمير ومختومة بختمه، أرسلها الأمير سنة 1855م إلى الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا، يطلب فيها السماح له بزيارة الأستانة، بهدف الالتقاء بالإمبراطور الفرنسي كتعبير عن امتنانه له، وذلك بعدما بلغه أنه قادم لزيارة السلطان، وقد رفع الصدر الأعظم طلب الأمير إلى السلطان العثماني، فصدرت بشأنه إرادة [أمر السلطان]، جاء فيها الأمر بكتابة رسالة جوابية إلى الأمير عبد القادر المقيم في بروسة ردا على الطلب الذي تقدم به، وتضمنت الإرادة موافقة السلطان على هذه الزيارة لعدم وجود أي محذور بشأن ذلك.[22]

عاش الأمير في بروسة إلى سنة 1855م، وفي هذه السنة تعرضت هذه المدينة لزلازل شديدة، فطمح الأمير للانتقال إلى دمشق[23]، ويبدو أن الأمير استغل فرصة تلك الزيارة التي قام بها إلى الأستانة سنة 1855م ليرفع إلى الباب العالي طلب انتقاله إلى دمشق، حيث يذكر تلميذه العالم الدمشقي عبد الرزاق البيطار أنه قام بالسفر إلى الأستانة، وطلب الإذن بالسفر إلى دمشق فحصل عليه، ثم رجع إلى بروسة.[24]

لم تكتف الدولة العثمانية بالموافقة على طلب الأمير عبد القادر بالانتقال للعيش في دمشق، بل أصدرت أوامرها إلى والي دمشق محمود نديم باشا باستقبال الأمير، وإعداد سكن يليق به.[25]

## 2- العلاقة بين الدولة العثمانية والأمير في دمشق:

رتب الأمير شؤونه في بروسة، وغادرها مع أهله وأتباعه الذين كانوا يبلغون حوالي مائتي شخص[26] على متن سفينة فرنسية، فوصلوا إلى بيروت يوم 24 تشرين الثاني (نوفمبر) 1855.[27]

وحظي الأمير في بيروت باستقبال حار من قبل واليها وامق باشا، ونزل في ضيافة الدروز، وبعد أيام تابع طريقه إلى دمشق، فوجد واليها محمود نديم باشا في استقباله خارج البلد وبرفقته الأشراف والعلماء والأعيان، فقابله الجميع بكلٍ الإجلال والاحترام.[28]

اختار والي دمشق داراً لسكنى الأمير بناءً على أوامر الدولة العلية، فاستقر الأمير بها[29]، وبحسب رواية الأمير فإن والي دمشق فتَش له عن دار تكفيه مع عياله فلم يجد، فاستأجر له دارين متلاصقتين في زقاق النقيب، ولكن الأمير رأى أنهما يحتاجان للإصلاح والزيادة، ولم يكن يتسنى له القيام بذلك إلا بملكيتهما، فبذل جهده للحصول من الباب العالي على حق ملكية الدارين[30]، ويبدو أن جهود الأمير في هذا الصدد نجحت، بحيث لم يمانع الباب العالي منح الأمير حق تملك الدارين، فقد ذكر ابنه محمد أنه قام بشراء الدارين وإصلاحهما، ولما أتم ذلك انتقل للسكن فيهما.[31]

ومن ثم منح الباب العالي للأمير عبد القادر حق تملك الأراضي والعقارات، ذلك أننا نجد الأمير وقد تحول بمرور الوقت إلى واحد من أكبر ملاك الأراضي لا في دمشق وحدها، بل في بلاد الشام على وجه العموم، ففي دمشق، يذكر ابنه محمد أنه اشترى -إضافة إلى الدار التي خصصتها له الدولة العثمانية- سبع دور أخرى جعل إحداها منزلا للضيافة ولمن يقصده من أصحاب الحوائج، وعدة دور في محلة العمارة البرانية، كما اشترى مزرعة "دير بحدل" في غوطة دمشق وهي بستان نضر وعمَر فيها حوشا، واشترى أرضا أخرى في قرية أشرفية صحنايا، واشترى قرية قرحتا ومزرعة بلاس وعمَر فيها حوشا، واشترى طاحونة بالإحدى عشرية، وخان الصعب في العمارة، وأرضًا في دُمَر بنى فيها قصرا لمصيفه.[32]

وبعد حصوله على إذن السلطان اشترى الأمير أراضٍ أخرى خارج دمشق، في كل من حوران وفي جنوب لبنان وفي ثمانية قرى في فلسطين.[33]

وحظي الأمير باحترام السلطات العثمانية في دمشق، تقديرا منها للمكانة الرفيعة التي كان يحتلها بفضل شرف نسبه وعلمه وماضيه المشرف في الجهاد ضد العدوان الأوروبي، فقد كان يتمتع -كما يقول الإنجليزي بلنت[34] الذي شاهده في دمشق في أخريات حياته- بنفوذ كبير لدى الحكومة في كل ما يتعلق بالعرب[35]، وقد كانت السلطات المحلية في دمشق على استعداد لقبول تدخله عندها لصالح الطائفة الجزائرية التي كانت موالية له بشدة، أو لصالح المستغيثين به من عرب سوريا، والذي لم يكن يتوانى عن إنصافهم عن طريق التدخل لدى الحكومة.

وكان الأمير بعد وصوله إلى دمشق قد استقر مع عائلته وأتباعه في حي العمارة بالمدينة، ثم تبعه قسم آخر من أصحابه استقروا في حي الصالحية، وجميعهم على المذهب المالكي، ومع تزايد أعداد المهاجرين توزعوا على سائر أنحاء لواء دمشق، من باب السريجة، باب المصلى، محلة الميدان، مأذنة الشحم، الشاغور، القنوات، السويقة، وكانت لهم محلة خاصة بهم تعرف باسم محلة الجزايرلية، وأصبح لهم مفتٍ خاص في دمشق، وكان الأمير بمثابة مرشدهم الأكبر وحاميهم.[36]

ودفع استقرار الأمير عبد القادر في دمشق بكثير من العائلات الجزائرية إلى اتخاذ قرار الهجرة إلى بلاد الشام، ومن جهتها شجعت السلطات العثمانية هذه الهجرة وذلك بمنح جموع المهاجرين أراضٍ للزراعة وإعفائهم من الضرائب ومن الخدمة العسكرية لمدد محدودة والسماًح لهم بالسكن في أي مكان يرغبون في الاستقرار فيه معتبرة إياهم من رعاياها.[37]

وساهم الأمير بقدر وافر في توطين المهاجرين الجزائريين إلى بلاد الشام، حيث كان يستفيد من الامتيازات التي كان يتمتع بها لدى السلطات العثمانية، هناك فيتوسط لهم لديها لحل مشاكلهم القانونية والسياسية، كما قام عقب وصوله إلى دمشق بالسفر إلى مختلف أنحاء بلاد الشام كعجلون وصفد والقدس والبقاع وحمص وحماة بهدف التحقق من

الأماكن التي سيتم فيها توطين الجزائريين، وحتى يتم قبولهم من قبل زعماء البدو وزعماء القبائل في تلك المناطق.(38)

وفي الفتنة الطائفية التي نشبت سنة 1860م في بلاد الشام ، بذل الأمير جهوده لمنع وصول الفتنة التي كانت قد اشتعلت في لبنان إلى دمشق[39] ، وفي هذا الصدد قام بالاتصال بوالي دمشق أحمد باشا، وعبّر له عن تخوفه من انتشار الفتنة في دمشق، ولكن الوالي لم يكن مدركا وقتئذ لخطورة الأحداث وسرعة انتشارها، حيث أكد للأمير أن أخبار وصول الحوادث إلى دمشق ليست سوى محض إشاعات، وقد كرر الأمير الذهاب إلى الوالي عدة مرات مجددا له مخاوفه، ولكن بدون جدوى.(40)

وبعد استفحال أمر الفتنة ووصولها إلى دمشق، عاد الأمير فاجتمع مرة أخرى بالوالي أحمد باشا وأعضاء مجلس الشورى، وبين لهم جواز مقاتلة كل من يعتدي على أهل الذمة، إذا كانوا في طاعة الحكومة الإسلامية، حتى ولو كان من المسلمين، فاتفقوا على معاقبة المعتدين، وعندها طلب الأمير من أحمد باشا تزويد الجزائريين الذين تحت إمرته بالسلاح، فبعث له الوالي في اليوم الموالي كمية منه، ولكنه لم يمنحهم أية رخصة لاستعماله.(41)

لم يكن ذلك كافيا بالنسبة للأمير الذي قرر المشاركة عمليا في إنقاذ المسيحيين من القتل الذي كانوا يتعرضون له على أيدي المسلمين، لذلك التجأ إلى القنصلية الفرنسية بدمشق فحصل منها على السلاح اللازم لتسليح ألف جزائري كانوا تحت إمرته[42]، كما قام بشراء السلاح من البدو ومن أهل حوران[43] [جنوب سوريا]، ومن ثم بث رجاله الجزائريين في مختلف أنحاء دمشق للبحث عن المسيحيين وحمايتهم، فكانوا يسيرون بهم في شكل تربيعات مستطيلة لحمايتهم في الطريق إلى بيت الأمير.[44]

فلما غص بيت الأمير بالمسيحيين، وأصبح غير قادر على استيعابهم، توجه الأمير إلى الوالي أحمد باشا، وطلب منه أن يسمح له بأن يتخذ من قلعة دمشق مأوى لهم، فحصل على موافقة الوالي، وصار كلما وصلت إليه مجموعة من المسيحيين أرسلهم إلى القلعة ليكونوا في حماية رجاله. وقد تكفل الأمير أيضا بالإنفاق على المسيحيين في القلعة كما في بيته،

حيث كان رجاله ينقلونهم إلى القلعة ثم يرسلون إليهم ما يلزمهم من المؤن.[45]

لم تلبث الدولة العثمانية أن أرسلت وزير خارجيتها فؤاد باشا إلى دمشق، مزودا من السلطان بصلاحيات غير محدودة لإنقاذ سلطة السلطان في سوريا، فقد كانت الدول الأوروبية قد عقدت مؤتمرا دوليا في باريس قررت فيه إرسال جيش أوروبي برئاسة فرنسا لوقف المجازر في بلاد الشام. وكان على فؤاد باشا أن يسحب البساط من تحت أقدام الحملة الفرنسية، ويحرمها من ذريعة احتلال بلاد الشام بحجة حماية المسيحيين.

بمجرد وصوله إلى دمشق أعلن فؤاد باشا الأحكام العرفية، وأمر بتشكيل محكمة خاصة، حكمت بالإعدام والشنق والنفي على الآلاف ممن اشتركوا في أحداث الفتنة، وكان من جملة من قتل الوالي السابق أحمد باشا، الذي كان فؤاد باشا قد أرسله إلى الأستانة، ثم أعيد إلى دمشق حيث قتل رميا بالرصاص.[46]

وبعدها قام فؤاد باشا بزيارة قلعة دمشق التي كانت تغص بآلاف المسيحيين الذين يحرسهم رجال الأمير، فاطلع على أحوالهم وأصبح من الآن هو المتكفل بهم، ولتعويضهم فرض فؤاد باشا ضريبة على بلاد الشام قدرت بتسعين ألف كيس، منها خمسة وعشرون ألف كيس على مدينة دمشق وحدها، ولم يستثن منها سوى الأمير عبد القادر والجزائريين الذين معه.[47]

لقد أضفى الدور الذي لعبه المهاجرون الجزائريون في فتنة 1860م بقيادة الأمير، عليهم موقعا اعتباريا في المجتمع الدمشقي، وتقديرا لهذا الدور جرى استثناؤهم من دفع التعويضات للنصارى، شريطة أن يثبتوا أصلهم بورقة موقعة من الأمير.[48]

كما أن فؤاد باشا لما اطلع على ما أظهرته حاشية الأمير من بسالة في إنقاذ المسيحيين، وتبينت له شجاعة هؤلاء المغاربة وقوة بأسهم، فاوض الأمير في أن يعين كتيبة منهم تكون في خدمة الدولة العثمانية، فأجاب الأمير طلبه، واختار منهم أربعمائة فارس، وجعل أحد أقاربه وهو السيد محمد بن فريحة رئيسا عليهم.[49]

تمكن الأمير من إنقاذ خمسة عشر ألف مسيحي[50]، وقد أكسبه ذلك امتنان الحكام الأوروبيين الذين انهالوا عليه بالأوسمة والهدايا[51]، أما بالنسبة للسلطات العثمانية، فقد رأت أنه لا يمكنها أن تغض الطرف عن اعتزام الدول الأوروبية منح أوسمة للأمير، وذلك وفق ما جاء في وثيقة عثمانية مؤرخة في 20 أغسطس 1860م، بحيث رأت من المناسب أن تبادر الدولة العثمانية إلى تكريمه لا سيما وأن المسيحيين الذين تمَ إنقاذهم من رعايا الدولة العثمانية.[52]

نال الأمير عبد القادر اعتراف وتقدير الدولة العثمانية على دوره في إطفاء فتنة 1860م في دمشق، حيث منحه السلطان عبد المجيد خان النيشان المجيدي من الدرجة الأولى، وأرفقه بكتاب شكر خاطب فيه الأمير بكل التفخيم والاحترام، وعبر السلطان فيه، عن استحسانه للدور الذي أداه الأمير في إنقاذ المسيحيين من رعايا الدولة العثمانية إبان أحداث الفتنة، واعتبر ما قام به الأمير دليل على غيرته الدينية وإخلاصه للسلطنة، وأنه يستحق لذلك فرط المحظوظية والممنونية لديه، وكبرهان عليه فإنه يكافئه بالوسام المجيدي الهمايوني من الرتبة الأولى.[53]

من جهته، رد الأمير على رسالة الشكر التي أرسلها إليه السلطان العثماني برسالة شكر وامتنان على إنعامه عليه بالنيشان المجيدي من الدرجة الأولى، وأكدَ له فيها أن نيته كانت القيام بواجبه الشرعي في نصرة الدولة العثمانية، خصوصا وأنها أحاطته بكل الرعاية والتكريم، حيث خاطبه قائلا: "إن العبد... مأمور من الله ورسوله بإطاعة مولانا أمير المؤمنين الأعظم... سيما إذا كان مثل عبد الأعتاب الرفيعة الجلالة مستظلا بظلها العميم على أحسن حاله، محفوظا بالتكريم والتعطف العظيم، فهو لا شك محكوم بالعقاب إن لم يطر طيران العقاب لنصرة دولته ودفع الشبهة الردية عن ملته، ولما وقعت حادثة الشام وانتهكت محارم الله بلا احتشام قمت بإيفاء ما قدرت عليه من هذه الفريضة العينية، والنية في ذلك إطاعة الله تعالى ورضاء الدولة العلية، ومن ثم ما صنع العبد إلا الواجب بل بعضه، وما استحق مدحا من أدى فرضه".[54]

كما أكد الأمير في رسالته إلى السلطان العثماني على الدور الجوهري الذي أداه فؤاد باشا، معتبرا أن الفضل الأكبر إنما يعود إليه، وذلك لأنه –كما يقول الأمير–: "قدم دمشق وهي تفور كالمرجل وأرجاؤها من الفساد تكاد تزلزل... وأظهر عدل أمير المؤمنين للحاضر والباد، فأرضى بذلك كافة الملل من العباد، وطهر ذيل الشريعة الغرا مما توهمه أهلٍ الافترا، واقتص من الأقوياء للضعفا، فأكسب الدولة العلية دعاءً زايدا وشرفا".[55]

بيد أن المصادر الفرنسية لم تلبث أن ركزت على دور الأمير عبد القادر في فتنة 1860م، كجزء من الصورة الجديدة للأمير التي أخذت ترسمها التآليف التي ظهرت في أوروبا فيما بعد، ومجدت الجانب الإنساني للأمير وتسامحه، وعلى الأخص وفاءه لوعد الشرف الذي قطعه لنابوليون بعدم محاربة فرنسا[56]. كما حاولت أن تُجرِّد الأمير من وسام الجهاد، وتظهره بأوسمة الدول الأوروبية التي انهالت عليه لدوره في حماية المسيحيين أثناء حوادث الفتنة. إلى درجة ألف فيها الجنرال بول آزان (Paul Azan) كتابا بعنوان: "الأمير عبد القادر (1808–1883) من التعصب الإسلامي إلى الوطنية الفرنسية"، استدل فيه على وطنية الأمير الفرنسية بحمايته للمسيحيين الذين تعتبرهم فرنسا من رعاياها في حوادث فتنة 1860م، وأوعز موقف الأمير إلى تطور حصل في أخلاقه في فترة اعتقاله بفرنسا حيث ذهب إلى فرنسا متعصبا وغادرها إلى المشرق متسامحا، رغم أنه لم يذكر تصرفا واحدا للأمير يدلل به على روح التعصب التي ينسبها له.[57]

والواقع أن الأمير كان مدركا للمخطط الفرنسي للتدخل في سوريا من أجل القضاء على سلطة السلطان فيها، فأراد بموقفه أن يحرم الدول الأوروبية من كل ذريعة للتدخل هناك، وهو ما يؤكده التحذير الذي كان الأمير قد وجهه للثائرين في أثناء الفتنة حين حذرهم أنهم إن لم يتوقفوا عن الفتك بالمسيحيين فإن الفرنسيين سوف يأتون ويحولون مساجدهم إلى كنائس[58]، متمثلا في ذلك بما فعلوه في وطنه الجزائر. وهو ما حمل المؤرخ الفرنسي آجيرون على القول بأن الدفاع عن

المسيحيين في هذه الظروف لم يكن أبدا خدمة لفرنسا ولا خيانة للإسلام.[59]

أما محمد ابن الأمير فيرى أن والده إنما سعى بموقفه من أحداث الفتنة لتأييد الدولة العثمانية ضد أعدائها المتربصين بها، حيث جاء في التحفة أن "الباعث له [والده]على حمل تلك المشاق، تأييد الدولة العلية والدفاع عن حوزتها إذ لو لم يقف في وجه الغوغاء، لاستأصلوا النصارى واستلحموهم وتفاقم الأمر أكثر مما وقع، وبذلك يحصل للدولة من الارتباك ما لا يخفى. ولعناية الله تعالى بصاحب الخلافة العظمى، ورعايته لسلطنته لم يقع أدنى خلل يتشبث به، لإلحاق الضرر بالدولة العلية".[60]

بيد أن الشائعات القائلة بأن فرنسا تسعى إلى جعل الأمير حاكما على مملكة عربية مستقلة في بلاد الشام، زادت في إثارة شكوك العثمانيين بشأنه[61]، وذكر البعض أن الأمير رفض تسليم الأسلحة التي اشتراها لجنوده إلى السلطات العثمانية في دمشق بعد إخماد الفتنة، وبدلا عن ذلك أبدى موافقته على وضعها في مسجد[62]، ما جعل السلطات العثمانية، وعلى الرغم من الاحترام والتوقير الذي كانت تبديه في تعاملها معه، تنظر إليه بالكثير من الريبة والتحفظ.

والحقيقة أن تلك الأفكار التي راجت وقتئذ في الصحف الأوروبية عموما والفرنسية على وجه الخصوص[63]، معبرة عن مشروع لإنشاء مملكة عربية في بلاد الشام وتنصيب الأمير عبد القادر ملكا عليها تحت الحماية الفرنسية، أو نائب ملك على غرار محمد علي في مصر لم تكن مجرد إشاعات[64]، ذلك أن فرنسا ما فتئت تحاول استخدامه كأداة لتسهيل تنفيذ مخططاتها الاستعمارية في بلاد الشام، بل إن فكرة هذا المشروع ترجع -بحسب ما جاء في مذكرات الجنرال ماك ماهون- إلى سنة 1852م، فقد ذكر أن نابوليون الثالث فكر آنذاك بحماس كبير في إحياء دولة عربية بالمشرق، وذلك عندما قام بتسريح الأمير عبد القادر، حيث كان يهدف من تسريحه له أن يرسله إلى بيروت مزودا بدخل مرتفع، وذلك لكي يمنحه نفوذا وتأثيرا بين الشعوب العربية في تلك المنطقة.[65]

وكتمهيد لمشروعه عمد الإمبراطور نابوليون الثالث قبل عام من انتقال الأمير إلى دمشق لرفع مرتبه من 200.000 فرنك فرنسي سنويا، إلى 300.000 فرنك[66]، ولما نشبت فتنة 1860م في بلاد الشام، رأى نابوليون أن الفرصة باتت مواتية للبدء في تنفيذه، وهو ما يفسر قبول القنصلية الفرنسية في دمشق طلب الأمير بإعطائه السلاح اللازم لتسليح ألف جزائري كانوا تحت إمرته، وهو أمر كانت تخطط له السلطات الفرنسية ساعية من ورائه لخلق نواة مسلحة تكون تحت تصرف الأمير كتمهيد للبدء في تنفيذ مشروع المملكة العربية، ولكن الأمير استخدم هذه الفرقة الجزائرية المسلحة في إنقاذ المسيحيين من القتل، فساهم بذلك في قطع الطريق أمام التدخل الأجنبي في بلاد الشام، ومن ثم أبدى رفضه الشديد للمشروع الفرنسي حين عُرض عليه.

فقد كان قائد الحملة الفرنسية إلى بلاد الشام، الجنرال دي بوفور دوهتبول قد أرسل إلى الأمير عبد القادر في دمشق يطلب مقابلته سرا في 23 أكتوبر (تشرين الأول) 1860م، ولكن الأمير لم يلبَ دعوته متذرعا بمرضه.[67]

في حين تذكر بعض المصادر بأن الجنرال دي بوفور حاول الاتصال بالأمير عبد القادر ليشاوره في الأمر، فوجد أبواب دمشق مقفلة في وجهه، كما أن الأمير من جهته لم يحاول الاتصال به، وذلك حتى لا يعرض نفسه لنقمة الدمشقيين وغضب الباب العالي.[68]

أما محمد ابن الأمير فيذكر أن والده ذهب لمقابلة دي بوفور سرا، وطلب منه العدول عن فكرته، ووضح له مغبة ما سيقدم عليه، ولكن الجنرال أصر على موقفه فهدده الأمير حتى أثناه عن عزمه.[69]

ومهما تكن إحدى هذه الروايات صحيحة والأخرى مشكوكا فيها، فإن النتيجة في الحالتين واحدة، وهي أن الأمير لم يكن ليقوم بأي عمل فيه إضرار بالدولة العثمانية، كما لم يكن ليرضى بأن يكون أداة في يد الفرنسيين يحققون بواسطتها أهدافهم في بلاد الشام، وقد اعترف آجيرون بأن "امتناع عبد القادر يبين أنه لم يكن عميلا فرنسيا".[70]

وهكذا ساهمت جهود كل من الأمير عبد القادر وفؤاد باشا في إفشال مخطط الحملة الفرنسية على بلاد الشام سنة 1860م، ولكن الإمبراطور نابوليون الثالث ظل يحلم بتحقيق مشروعه[71]، وللتخلص من الضغوطات التي كانت تمارسها عليه السلطات الفرنسية عن طريق قنصليتها في دمشق، قرر الأمير في هذه الفترة قضاء موسمين من مواسم الحج في الحجاز حيث كرس نفسه للعبادة، بالانصراف إلى الصلاة والذكر وقراءة كتب التصوف وممارسته والتأليف فيه.[72]

أما عن علاقته بنابوليون الثالث، فقد كانت في نظر الأمير علاقة شخصية، بينما كانت في نظر نابوليون علاقة سياسية، وهكذا نجد أن الأمير قد تسلّم المال من نابوليون -كما تسلَمه من العثمانيين-، وظل معترفا لنابوليون بالجميل على تسريحه له وعلى الدخل المرتفع الذي خصَه به، ولكن الأمير لم يستخدم مال نابوليون في الأغراض التي كان هذا الأخير يحلم بأن يحققها بواسطته لصالح الإمبراطورية الفرنسية في الشرق، وبدلا من استخدام الأمير لهذا المال في تنفيذ مشروع نابوليون لإنشاء المملكة العربية في بلاد الشام -وهو المشروع الذي رفضه الأمير جملة وتفصيلا حين عُرض عليه-، نجده قد استغل مال فرنسا ليصبح واحدا من كبار ملاَكي الأَرض في بلاد الشام، حيث اشترى الأراضي والعقارات، وبنى الدور والأحواش، وتوسع في زراعة القمح، وفي تجارة تصديره إلى أوروبا، واستغل ارتفاعه المادي في مساعدة المهاجرين الجزائريين إلى بلاد الشام على التوطن بها، كما قام بتشغيلهم في أراضيه، ودعم عائلته وأتباعه، وكان يعطي من ماله للفقراء فيخصص لهم أعطيات كل جمعة، ويهب الشباب مهورا للزواج، واشترى مدرسة الأشرفية وقام بترميمها وأوقفها على الشيخ يوسف بن بدر الدين المغربي وعلى أولاده من بعده، كما رمم المسجد التابعة له... الخ[73]، وفي فتنة 1860م استغل الأمير المال الإضافي الذي زودته به السلطات الفرنسية لتسليح الطائفة الجزائرية ، ولكن الأمير استخدم هذه الفرقة الجزائرية المسلحة في إنقاذ المسيحيين من القتل فساهم بذلك في قطع الطريق أمام التدخل الأجنبي في بلاد الشام، ومن ثم أبدى رفضه الشديد للمشروع الفرنسي، ومال نحو العزلة

والاستغراق في العبادة والتصوف كوسيلة للتخلص من الضغوط الفرنسية الشديدة التي مورست عليه.

ولكن مجرد تصرفه بهذه الطريقة وعدم مقاطعته للحكومة الفرنسية بالشكل الذي يؤدي إلى فقدان دخله منها، تم اعتباره وتابعيه من قبل الحكومة العثمانية كوكلاء للسياسة الفرنسية في سوريا(74)، وبسبب هذه الشكوك فقد حرص الأمير في دمشق على أن يبرهن للأتراك بأنه لم يكن ينوي الاشتغال بالشؤون السياسية، حيث كان يقضي وقته في الجوامع أو في حلقاته مع العلماء، أو في قراءات مختارة ولا سيما لكتب ابن عربي، بينما كان يخصص بقية وقته لتربية أبنائه.(75)

ومهما يكن الأمر فقد تمتع الأمير عبد القادر منذ وصوله إلى دمشق بالاتصال بأعلى الدوائر السياسية في الدولة العثمانية، وخلال الفترة التي قضاها في دمشق قابل الأمير السلطان العثماني مرتين(76)، وظلت علاقته بالدولة العثمانية طيلة فترة إقامته بدمشق تتسم بالتقدير والاحترام المتبادل، وفي سنة 1865م زار الأمير الأستانة، فلما وصلها وجد مأمور التشريفات في استقباله بالميناء، كما وجد عربات هيأتها الدولة العثمانية لنقله إلى المحل الذي خصصته لإقامته، وعقب وصوله جاءه الوزراء والأعيان وسفراء الدول الأجنبية للسلام عليه، واحتفل به الصدر الأعظم احتفالا كبيرا، ثم تتابعت عليه الضيافات والمآدب من أعيان الدولة ووزرائها.(77)

وهيأت الدولة العثمانية للأمير خلال فترة وجوده بالأستانة، قاربا صغيرا ليتنزه في المضيق، كما هيأت له عربات يركبها حيث أراد، ولم يلبث أن أرسل إليه السلطان عبد العزيز خان يطلب مقابلته، فاستقبله بكل تبجيل واحترام، ومنحه النيشان العثماني من الرتبة الأولى، كما منح أبناءه رتبا ونياشين.(78)

واغتنم الأمير فرصة زيارته للسلطان عبد العزيز خان سنة 1865م ليتوسط لديه لصالح المنفيين الشاميين جراء فتنة 1860م، فقبل السلطان وساطته وأصدر عفوا عاما بشأنهم(79)، حيث ذكر البيطار أن الأمير قدم في هذه الزيارة "الرجا والشفاعة لحضرة أمير المؤمنين في تسريح الذوات

الشاميين المنفيين إلى قبرص ورودس، فقبلت شفاعته، وخرج الأمر العالي بتسريحهم". [80]

استمرت هذه العلاقات الحسنة بين الدولة العثمانية والأمير حتى وفاته، والملفت أنه عندما توفي الأمير لم تشارك السلطات العثمانية العسكرية والمدنية في جنازته يوم 26 مايو 1883م، وكان ممثلوا الدول الأجنبية قد مشوا فيها بلباسهم الرسمي، بينما اكتفى الباب العالي بإرسال تعازيه إلى الأمير محمد نجل الأمير عبد القادر، وقد ادعى القنصل البريطاني أن السلطات العثمانية كانت تحسد الأمير على المكانة التي كان يتمتع بها بين أهل سوريا ولأفكاره التحررية.[81]

والواقع أن الضغط الذي مارسته الحكومة الفرنسية على الأمير عن طريق قنصليتها في دمشق، لم يكن ليمر دون إثارة حفيظة السلطات العثمانية نحوه، وإن بصورة غير معلنة ، فقد كانت هذه الأخيرة تنظر إلى الارتباط الذي كان قائما بينه وبينه السلطات الفرنسية على أنه تمتعا من الأمير بالحصانة الفرنسية، لذلك لم يكن أمامها سوى العمل -بشكل غير معلن- على أن يكون مفهوما لديه بأنها لا تسمح له بممارسة نشاطات سياسية، مع محاولة استرضائه وكسبه إلى صفها بكل طريقة ممكنة، وذلك عن طريق المعاملة الحسنة والإنعام عليه بالمال والأوسمة، فبعد أن قامت بتكريمه بالنيشان المجيدي تقديرا لدوره في حماية المسيحيين إبان فتنة 1860م، نجدها تكرر تكريمه مرة أخرى سنة 1865م بالنيشان العثماني من الدرجة الأولى.[82]

وقد استمرت هذه المعاملة حتى بعد وفاة الأمير، حيث عملت السلطات العثمانية على فك الروابط التي كانت قائمة بين عائلة الأمير وفرنسا[83]، وهكذا قامت بعد وفاته بتخصيص راتب لعائلته[84]، كما خصصت قطعة أرض زراعية لزوجته "شفيقة خانم"[85]، وراتبا لابنه محيي الدين وعائلته بعد تخلي هذا الأخير عن الجنسية الفرنسية[86]، كما منحت ابن الأمير الأكبر محمد النيشان المجيدي[87]، وأصدرت أمرها بتسجيل حفيدي الأمير محمد سعيد وعبد القادر في المدرسة السلطانية بدون أجور[88]... الخ.

## - الهوامش:

---

(1) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 2، الجزائر، دار الوعي، 2012، ص 60.

(2) Le Mobacher, 5eme Année, 1er série, № 128 (1 janvier, 1853).

(3) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر ، ج (2)، ص 81، 82.

(4) السلطان عبد المجيد : (1823-1861)، وهو ابن السلطان محمود الثاني، تبوأ عرش السلطنة سنة 1839، عرف عهده الكثير من الأحداث المهمة كحرب الدولة العثمانية مع محمد علي والي مصر، وحرب القرم (1853-1856)، وفتنة 1860 في بلاد الشام، وإصداره خطي شريف كلخانة (1839) وهمايون (1856). للتوسع أنظر:

The Encyclopaedia of Islam, Vol (1) (Leiden : E.J. Brill 1979), pp 74, 75.

(5) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحقة الزائر، ج (2)، ص 82.

(6) وثيقة محفوظة في الأرشيف العثماني، تصنيفها: I.HR, 4556، ومنشورة أيضا في كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، أنقرة: رئاسة الوزراء- المديرية العامة لدور المحفوظات- رئاسة دائرة الأرشيف العثماني، 2010، ص366، 367.

(7) التحفة، المصدر السابق، ص 85.

(8) المصدر نفسه، ص 87.

(9) وذلك في سياق رده على والي بروسة عندما أبلغه الوالي بأنه عين له راتبا بأمر من الحكومة العثمانية، فرد عليه الأمير بأن السلطان قد أنعم عليه بما هو أفضل من الدنيا وما فيها بقبول كفالته لدى فرنسا. أنظر التحفة، ج (2)، ص 88.

(10) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج (2)، ص 85، 86.

(11) عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج (2)، تحقيق محمد بهجة البيطار، دمشق: المجمع العلمي العربي، 1963، ص 896؛ عبد المجيد الخاني، الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية، تحقيق محمد خالد الخرسة، دمشق، دار البيروتي، 1997، ص772.

(12) وثيقة محفوظة في الأرشيف العثماني تحت التصنيف: I.HR, 4620 ، ومنشورة أيضا ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، ص371. والإرادة تعني أمر السلطان وفرمانه

ورغبته، وخلال الفترة قيد الدراسة كان الكاتب الخصوصي للسلطان يقوم بقراءة التذكرة التي يقدمها الصدر الأعظم على السلطان، فيخبره السلطان برأيه شفويا ثم يقوم الباشكاتب بكتابة ذلك الرأي أسفل تذكرة العرض وبشكل مائل خطابا إلى الصدر الأعظم.

(13) تحفة الزائر، ج (2)، ص 87.

(14) المصدر والصفحة نفسهما.

(15) نفسه، ص 101.

(16) نفسه، ص 102.

(17) نفسه، ص88.

(18) ذكره إسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني في: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دم : وكالة المعارف، 1945، ص 326.

(19) محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته وأثرها في أدبه، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 67.

(20) المرجع نفسه، ص 64، 65.

(21) أنظر أبيات القصيدة التي كتبها بهذه المناسبة كاملة لدى: محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، ج (2)، ص 88- 89.

(22) وتوجد رسالة الأمير والإرادة الصادرة بشأنها كردَ عليها منشورتان ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، ص 382، 383.

(23) محمد أديب آل تقي الدين الحصني، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1979، ص 740 ؛ البيطار، المصدر السابق، ص 896.

(24) البيطار، المصدر السابق، ص 896.

(25) شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، تونس، الدار التونسية للنشر، 1974، ص 276؛ محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج (2)، ص 108.

(26) البيطار، المصدر السابق، ص 896 ؛ التحفة، ج (2)، ص 107.

(27) تشرشل، المصدر السابق، ص 276.

(28) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج (2)، ص107، 108.

(29) المصدر نفسه، ص 108.

(30) من رسالة الأمير إلى وزير خارجية فرنسا بتاريخ: 1855/12/26م، نشرها عبد الجليل التميمي في المجلة التاريخية المغربية عدد 15- 16، تونس، جويلية 1979، ص 18.

(31) تحفة الزائر، ج (2)، ص 135.

(32) المصدر نفسه، ص 140.

(33) لعلاوي فارس أحمد، الأمير الجزائري في دمشق، دمشق، 2009، ص401 ؛ نقلا عن: سهيل الخالدي، الجزائر وبلاد الشام، الجزائر: منشورات الحضارة، 2013،ص178.

(34) هو ألفريد سكاون بلنت: (1840- 1922م)، ولد من عائلة أرستقراطية ثرية في جنوب انجلترا، وعندما بلغ سن الثامنة عشرة التحق بالسلك الدبلوماسي، وتنقل بين عام 1857 و1869م بين أثينا واستانبول وألمانيا وإسبانيا وباريس وسويسرا وأمريكا الجنوبية والبرتغال، وفي عام 1869م تزوج من حفيدة الشاعر الإنجليزي الشهير بايرون وترك السلك الدبلوماسي بعد أن كان قد عقد صداقات مع كثير من رجال السياسة والمسؤولين في بريطانيا، ولا سيما مع لورد ليتون نائب الملكة في الهند، والذي تزوج ابنه فيما بعد ابنة بلنت جوديث؛ وفي عام 1873 سافر بلنت وزوجته إلى استانبول، وقضى شتاء عام 1873 في الجزائر، بينما كان أول لقاء بينه ومصر في شتاء عام 1875-1876م، وقد أقام فيها سنوات على مراحل متقطعة من حياته؛ وفي شتاء عام 1878-1879م قام بلنت وزوجته ليدي آن برحلتين على ظهور الخيول والجمال من حلب إلى الفرات ثم أواسط الجزيرة العربية، وأقاما بين القبائل العربية وعقدا صداقات مع رؤسائها؛ وأقام بلنت وزوجته في مصر خلال عامي 1880 و1882، حيث تعرفا إلى كثير من الشخصيات المصرية البارزة، وأصبحا صديقين لأحمد عرابي وللشيخ محمد عبده ، كما التقى بالأمير عبد القادر في دمشق سنة 1883م؛ توفي بلنت في 1922م. (للمزيد حول حياة بلنت أنظر كتابه: التاريخ السري لاحتلال انجلترا لمصر، (دم: مطبعة البلاغ الأسبوعي، دت)، في أماكن متفرقة، ومحمود السمرة، غربيون في بلادنا، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، دت، ص 111، 119).

(35) بلنت ، التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر، ص88 .

(36) هند أبو الشعر، " علاقة الجزائريين المغاربة ببلاد الشام"، مجلة البيان، مج(3)، عدد (4)، المفرق- الأردن-: جامعة آل البيت، ربيع وصيف 2002)، ص 235، 236.

(37) نادية طرشون، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب: جامعة دمشق، 1985)، ص 26.

(38) عمار هلال، أبحاث ودراسات قي تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830- 1962)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995)، ص 90، 91 ؛ طرمثون، ص26؛

Linda, shatkowski schilcher , Families in Politics, Damascene Factions and estates of the 18th and 19th centuries, (stuttgort: Frenz verlag viesbaden Gomth, 1985), p 25.

(39) للتفصيل حول أسباب فتنة 1860 في بلاد الشام والجهود التي بذلها الأمير لمنع انتشارها، ودوره في إطفائها أنظر كتابنا: الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق – نشاطه السياسي والفكري- (1855- 1883) ، ( الجزائر: دار هومة، 2017)، ص 69 وما بعدها.

(40) ميخائيل مشاقة، " مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان"، منشور ضمن كتاب: سهيل زكار ، بلاد الشام في القرن التاسع عشر، (دمشق: دار حسان، 1982)، ص246 ؛ تشرشل، المصدر السابق ص 283.

(41) مشاقة، المصدر السابق، ص 249 ؛ محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج(2)، ص 152، 153.

(42) Marcel, Emerit, “ La Crise Syrienne et L’expansion économique Française en 1860”, in: Revue Historique , (n.p: presses universitaires d de la france, Avril – Juin 1952), p 216.

(43) مقابلة شخصية مع الأميرة بديعة الحسني الجزائري، يوم الأحد 14 ديسمبر ( كانون الأول) 2003، بمترلها في دمشق، (أذنت بالإشارة إليها).

(44) تشرشل، المصدر السابق، ص 284.

(45) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج(2) ، ص153 ؛ مشاقة، المصدر السابق، ص 253.

(46) نعمان، القساطلي، كتاب الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، (دم: مكتبة السائح، 1876)، ص91، 92؛ الصلح، ص 75؛ مشاقة ، ص266.

(47) Gross, Max. L, Ottoman Rule in the Province of Damascus, (1860-1909), (Unpublished Ph.D thesis, George town university, 1979), p 46.

(48) أبو الشعر، المرجع السابق، ص 235- 237.

(49) محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 155.

(50) المصدر نفسه، ص 153.

(51) ديفيد دين كومتز، الإصلاح الإسلامي: السياسة والتغيير الإجتماعي في سوريا أواخر العهد العثماني، تر: مجيد راضي، ( دمشق: دار المدى، 1999)، ص 91.

(52) وثيقة مصنفة في الأرشيف العثماني تحت الرقم: I.MMS, 864-1، ومنشورة أيضا ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، المصدر السابق، ص 378.

(53) أنظر النص الكامل لرسالة السلطان عبد المجيد خان إلى الأمير في: التحفة، ج (2)، ص 157، 158.

(54) وثيقة محفوظة في الأرشيف العثماني بإستانبول، منشورة من طرف: أحمد توفيق المدني، "الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث شوريا المحزنة والدولة العثمانية"، مجلة التاريخ، عدد خاص، (الجزائر: المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول من سنة 1983)، ص 10.

(55) من رسالة الأمير إلى السلطان العثماني ردا على رسالة شكر أرسلها له هذا الأخير مع إنعامه عليه بالنيشان المجيدي من الدرجة الأولى تقديرا لدوره في إخماد فتنة 1860 في بلاد الشام. (وثيقة محفوظة بالأرشيف العثماني في استانبول، نشرها أحمد توفيق المدني ضمن مقالته: "الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث سوريا المحزنة والدولة العثمانية"، مجلة التاريخ، عدد خاص ( الجزائر: النصف الأول من سنة 1983)، ص8.

(56) عبد الجليل، التميمي، "الأمير عبد القادر في دمشق (1855–1860)"، المجلة التاريخية المغربية، ع 15–16، (تونس: 1979)، ص 14.

(57) الحسني، جعفر عبد القادر، "مطبوعات حديثة: الأمير عبد القادر (1808–1883) "من التعصب الإسلامي إلى الوطنية الفرنسية" للكلونيل بول آزان Colonel P. Azan، مجلة المجمع العلمي العربي، ج(1)، مج(2)، (دمشق: 1926)، ص 234، 235.

(58) كومتز، المرجع السابق، ص 51.

(59) Agéron, op. cit., p18

(60) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج (2) ، ص 153.

(61) كومتز، المرجع السابق، ص51.

(62) Charle-Robert, Ageron, « Abd el kader souverain d'un royaume arabe d'orient », in : Revue de l'oxidant musulman et de la médeteraneé., (n° 4 (spécial), 1970), p 25.

(63) للتعرف على تلك الدعاية الواسعة التي شنتها الصحف الفرنسية بإشراف وتوجيه من الحكومة الفرنسية آنذاك لصالح مملكة عربية برئاسة الأمير عبد القادر، راجع كتابنا: الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق، ص 98- 101.

(64) للتفصيل حول موضوع "الأمير عبد القادر ومشروع المملكة العربية في بلاد الشام (1860- 1865)"، أنظر كتابنا: الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق، ص 91 وما بعدها.

Mémoire du Maréchal Mac , Souvenire d'algérie, ( paris: n.pub, 1932), p 130.

(65)Mahon

(66) Gross, op., cit, p 364.

(67) Agéron, op., cit, p 24.

(68) إميل خوري وعادل إسماعيل، السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة 1789 إلى سنة 1958، ج (3)، (بيروت: دار النشر للسياسة والتاريخ، 1961)، ص 277.

(69) تحفة الزائر، ج (2)، ص 155.

(70) Agéron ; op., cit, p 25.

(71) ففي سنة 1865م عاود الإمبراطور نابوليون الثالث عرض مشروعه على الأمير مستغلا فرصة زيارة قام بها هذا الأخير إلى باريس، حيث قام بتكليف جنرال يدعى فلوري (Général Fleury) بتقدير مدى استعداد الأمير ليكون ملكاً على دولة عربية مستقلة في سوريا، فكان رد الأمير كما يلي: "حَاربتُ فرنسا لمدة خمسة عشر سنة لإيماني أن تلك كانت إرادة الله لتحقيق الحرية لأبناء بلدي، والشرف لديننا، وعندما شاهدت التعب على رفاقي، ورفض القبائل العربية اتباعي، ورغبة المغرب في تسليمي للفرنسيين، أدركت أن مهمتي قد انتهت، وأن الله يأمرني بوضع السلاح فقمت بالخضوع لأمره، وقررت أن أمضي ما تبقى من حياتي في الصلاة والدراسات الدينية". وبذلك رفض الأمير مشروع المملكة العربية في سنة 1865، وكان قد رفضه من قبل في سنة 1860م، فوضع بذلك حداً للسياسة العربية لنابليون الثالث الذي كان يعتبر الأمير وسيلتها الوحيدة.( Agéron, op. cit., pp 28, 29).

(72) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج (5)، ص 550؛ كومنر، ص 51.

(73) للتفصيل في جميع هذه الموضوعات أنظر كتابنا: الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق، في أماكن متفرقة.

(74) Gross, op. cit, pp 364, 365.

(75) وهو ما يدل عليه البرنامج اليومي للأمير الذي وصفه تشرتشل بقوله: "كان ينهض ساعتين قبل الفجر وينغمس في الصلوات والعبادة... ثم يذهب إلى المسجد وبعد أن يقضي هناك نصف ساعة في الصلاة العامة يعود إلى مترله فيتناول وجبة سريعة، ثم يدخل مكتبته للدراسة إلى نصف النهار، وعلى صوت الأذان يعود إلى المسجد حيث تكون حلقة دراسية قد انتظمت في انتظار وصوله ... وكان هذا الدرس يستغرق ثلاث ساعات، وبعد الظهر يعود عبد القادر إلى مترله حيث يقضي ساعة مع أطفاله... متفحصا تقدمهم في دراستهم، ثم يتناول الطعام، وعند الغروب يعود إلى المسجد حيث يعطي درسا يستغرق ساعة ونصفا، وبذلك ينتهي واجبه اليومي كأستاذ، ولكن ما يزال في اليوم بعض الساعات وهي التي يقضيها في مكتبته، ثم يذهب للراحة". (حياة الأمير عبد القادر، ضمن: مترجمات [ الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله]، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005)، ص 367).

(76) كومتر، المرجع السابق، ص50.

(77) التحفة، ج (2)، ص 261، 262.

(78) المصدر نفسه، ص 262.

(79) Schilcher , op. cit., p 215.

(80) البيطار، ص 899، 900 ؛ أنظر أيضا: التحفة، المصدر السابق، ص 262.

(81) أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ( الجزائر: عالم المعرفة، 2011)، ص 132.

(82) وهو ما تنص عليه وثيقة عثمانية محفوظة بالأرشيف العثماني، تحت التصنيف: I. HR, 12335، ومنشورة ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، ص 385.

(83)وقد خلف الأمير عند وفاته عشرة أبناء وست بنات، وهم من أمهات مختلفات.

(84) من وثيقة عثمانية محفوظة بالأرشيف العثماني، تصنيفها: I. DH, 72289 ؛ وتشير أيضا على أن أهل دمشق أرسلوا رسالة إلى السلطان العثماني يشكرونه على تخصيصه لهذا الراتب لعائلة المرحوم عبد القادر الجزائري ؛ ومنشورة ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، ص 389.

(85) من وثيقة عثمانية محفوظة بالأرشيف العثماني، تصنيفها: I. DH. 86399 ؛ ومنشورة ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، ص 399.

(86) من وثيقة عثمانية محفوظة بالأرشيف العثماني، تصنيفها: Y. EE, 11/23 ؛ ومنشورة ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، ص 392.

(87) من وثيقة عثمانية محفوظة بالأرشيف العثماني، تصنيفها: I. DH, 86143 ؛ ومنشورة ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، ص 396.

(88) من وثيقتين عثمانيتين بهذا الخصوص، محفوظتان بالأرشيف العثماني تحت التصنيف: MF. MKT, 414/30 ؛ ومنشورة ضمن كتاب: الجزائر في الوثائق العثمانية، ص 402، 403.